

6

قصص المبشرون بالجنة

رجل السخاء
والعطاء

سلوى العناني



رجل السخاء والعطاء

(عبد الرحمن بن عوف)

دخل النبي عليه السلام (يثرب) مُحاطًا بالترحاب من أهلها - الأوس والخزرج - ومن السابقين من المهاجرين الذين كانوا قد دخلوها قبل وصول النبي.

وكان من الضروري أن يتم تنظيم هذا المجتمع حتى تستقر الحياة .. فكيف يكون حال هؤلاء الذين هاجروا مع النبي تاركين أموالهم وديارهم .. وأحياناً زوجاتهم ؟ كيف تسير حياتهم ؟

وتظهر حكمة النبي عندما آخى بين المهاجرين والأنصار ، فالأنصار مستقرون في مدينتهم .. لهم بيوتهم وزوجاتهم .. لهم زراعتهم ولهم تجارتهم .. عندهم الإبل والأغنام والخيول .. فليقتسم كل مسلم من الأنصار ما عنده

من خير مع مسلم من المهاجرين .. وهكذا تنوَّعت الرحلة
بين عنصري المجتمع الجديد ، وتزداد الأواصر تماسكاً ..
أخى النبي بين (عبد الرحمن بن عوف) ، و (سعد بن
الربيع) وكان هذا الأخير من أكثر أهل يثرب مالا ..
فعرض على (عبد الرحمن بن عوف) أن يقاسمه في كل ما
يملك ..

قال سعد : أقاليمك مالي نصفين وأزوجه . لكن
(ابن عوف) شكره واعتذر عن عدم قبول عرضه ، وطلب
أن يدلّه على طريق السوق .. وهناك اشترى وباع وربح
وعاش من عمله يلهو ..

فمن هو (عبد الرحمن بن عوف) .

هو واحد من السابقين الأولين إلى الإسلام ، فهو أحد
الثمانية الأوائل الذين آمنوا بمحمد نبيا ورسولاً ، وواحد
من الخمسة الذين آمنوا على يد أبي بكر ، وواحد الستة

أصحاب الشورى الذين أوكل إليهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تكون الخلافة فيهم من بعده .
عاني (عبد الرحمن بن عوف) من اضطهاد قريش وقسوتها ما عاناه إخوانه المسلمون الأوائل ..

هاجر (ابن عوف) إلى الحبشة مرتين فراراً بدينه .. ولما عاد لازم النبي حتى هاجر معه إلى (يثرب) .

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا
وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ
الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}

[النساء : 100]

لقد اشترى (عبد الرحمن بن عوف) رضا الله ورسوله وباع تجارته التي صاندها مشركو قريش .. وبدأ مرة أخرى من الصفر بعد هجرته إلى المدينة ..

توجّه إلى سوق (بن قَيْشِقَاع) وهناك باع واشترى وبيع
ثم تزوج من عملٍ يلو ..

سأله الرسول ﷺ : "تزوجت؟" قل : "نعم" .. قل
الرسول : "وَمَنْ؟" .. قل : "امرأة من الأنصار" .. فسأله
النبي "كَمْ سُقْت؟" .. أى كم دفعت مهرًا؟ ..

قل : "نواة من ذهب" .. قل النبي : "أولم ولو بشة" ..
كان (عبد الرحمن بن عوف) تلجأ ماهرًا ، جعله ذكائه
يختار الوقت والمكان المناسب دائمًا لتجارته .. فقال عنه
البعض : إنه إنسان محظوظ .. وحتى قل هو عن نفسه :
(لقد رأيتني ، لو رفعتُ حجرًا ، لوجدتُ تحته فضةً
وذهبًا) ..

لكنه الذكاء .. والرضا .. والسعي الدؤوب .. والبعد عن
الاحتكار والمضاربة .. والاتجّه بالعمل لوجه الله عز وجل ..
حكى عنه معاصروه فقالوا :

- "إذا لم يكن ابنُ عوفٍ في المسجدِ يصلّي فهو في غزوةٍ في سبيلِ الله أو تجارةٍ".

وكانت قوافله تجوب الشامَ ومصرَ واليمنَ ، ثم تعودُ إلى المدينة تحمل الكسلةَ والطعامَ وكلَّ ما يلزمُ حيلةَ الناسِ هنالك ..

سمع (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) يوماً رسولَ الله يقول له :
"يا بنَ عوفٍ إنك من الأغنياءِ ، وإنك ستدخلُ الجنةَ حبواً .. فاقترضُ الله يطلقُ لك قديمك" ..

ومن ساعتها .. و (عبدُ الرحمنِ) يسابقُ نفسه في العطاءِ فيجهزُ الحملاتِ العسكريةَ ويطعمُ الناسَ ..

لم يكن جشعاً ولا طماعاً ، بل كان قائماً راضياً : إذا ما أعطاهُ الله غيراً وزَّعه على أهلِ (بنى زُهيرة) وعلى فقراءِ المسلمين .. بل أغنيائهم أيضاً .

بلغ (ابنُ عوفٍ) يوماً أرضاً وقبضَ ثمنها أربعين ألف

دينار .. فمِلَاذا يَفْعَلُ بهذا المَلِ ؟ .

لقد وَزَّعَهُ عَلَى أَهْلِهِ وَعَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَى
أَسْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ .

ولما حضرته الموتُ أوصى بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي سَبِيلِ
الله ، كما أوصى بِأَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ لِكُلِّ مَنْ بَقِيَ عَلَى قَيْدِ
الْحَيَةِ مَنْ شَهِدُوا مَوْعِدَةَ (بَدْرِ) - وَكَانُوا مِائَةً - يَوْمَهَا تَرَحَّمُ
عَلَيْهِ عَلَى (كَرَمِ اللهِ وَجْهَهُ) وَقَالَ :

(اذهب يا ابنِ عوف ، فقد أدركت صفوها وسبقت
زيفها) .

وكان (عثمانُ بنُ عفان) ممن أخذ نصيبَه يَوْمَهَا مِنْ هَبَةِ
(ابنِ عوفٍ) رغم ما عرف عنه من الشراء ..
قال (عثمانُ) يَوْمَهَا :

"إن ملك (عبد الرحمن) حلالُ صفو ، وإن الطعنة منه
عافية وبركة" .

كان عند (عبد الرحمن بن عوف) ثمانية آلاف درهم
فأمسك منها أربعة لنفسه وعياله .. وقدم الباقي لله
ورسوله .. فقال له النبي عليه السلام :

"بارك الله لك فيما أمسكتَ وفيما أعطيتَ" .. ثم نزلت
الآية الكريمة تقول :

{الَّذِينَ يُتَّقُونَ أََمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا
أَلْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة : 267] .

يُروى أن المدينة استيقظت يوماً على قافلة ضخمة تزحف
طرقاتها .. وتهز جناباتها .. ولم يكن لهذه المدينة الهائلة عهد
بمثل هذه القوافل الكبيرة .. وتساءل الناس فيما بينهم
فعرفوا أنها تجارة لعبد الرحمن بن عوف راجعة من الشام ..
وعلمت (عائشة) أم المؤمنين بحبر هذه القافلة فتذكرت
قوله رسول الله (يا ابن عوف إنك من الأغنياء وإنك مستدخل

الجنة حيوا .. فأقرض الله قرضاً حسناً) ...

ورثت أم المؤمنين قول رسول الله فنقل البعض حديثها
إلى (عبد الرحمن بن عوف) فلتجه لفوره إليها ، وقل ..

"لقد ذكرتني بقول لم أئس ..

إني أشهدك أن هذه القافلة بأهلها وأقاربها وأحلاسها ،
في سبيل الله عز وجل" ..

وبر الرجل بما قل ..

وتم توزيع حولة القافلة كلها على أهل المدينة وغيرهم
من المسلمين ..

سبعمئة بعير تحمل من الخيرات ما لا يستطيع أحد أن
يحصيه أو يعتد بتقديمها (ابن عوف) في سبيل الله ..

لقد تمنى الصحابي الجليل أن يدخل الجنة عدواً كما
وعد النبي بذلك غيره من السابقين للإسلام فأقرض الله
قرضاً حسناً ، وجاد بماله عن طيب خاطر ..

مُؤَجَّجٌ لِلسَّخَاءِ وَالْعَطَاءِ ..

نذر (عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ) تجارتَهُ وأرباحتَهَا لله .. فأعطى
فِي سبِيلِ الله وَأطْعَمَ الْفُقَرَاءَ .. تحَرَّى الْحِلَالَ وَابْتَعَدَ عَنِ
الشَّهَوَاتِ فَزَادَتْ تِجَارَتُهُ وَرَبَتْ ، وَبَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهَا .. وَكَانَ
فِي مَالِهِ حَقٌّ مَعْلُومٌ .. لِأَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ .

لَمْ يَكُنْ ثَرَاءً عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَحْلِبُ
لَهُ السَّعَادَةُ أَوْ رَاحَةُ الْهَلِ .. عَلَى الْعَكْسِ كَانَ هَذَا الشَّرَاءُ
سَبَبًا فِي قَلْقَوِ الدَّائِمِ .. فَقَدْ كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْخَيْرُ
الْعَاجِلُ سَبَبًا فِي تَأْجِيلِ خَيْرِ الْأَجَلِ .. وَهُوَ أَحْرَصُ عَلَى
الْآخِرِ حَرَصَهُ عَلَى الْأُغْلَى مَا يَتَمَنَّى .

يُرَوَّى عَنْ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ) أَنَّهُ جَلَسَ يَوْمًا لِيُقَطِّرَ
بَعْدَ صِيَامٍ ..

فَلَمَّا قَدَّمَ لَهُ الطَّعَامُ بَكَى وَامْتَنَعَ عَنِ الْأَكْلِ وَقَالَ :

"أَسْتَشْهَدُ (مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ) وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي فَكَفَّنْ نَفْسِي

برقة إن غطت رأسه بدت رجلاه ، وإن غطت رجله بدت
رأسه ..

واستشهد (حزقة) وهو خير مني فلم نجد له ما نكفنه فيه
إلا برقة ..

ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا منها ما أعطينا ،
وإني لأخشى أن نكون قد عجلت لنا حسناقتنا" ..

وكان ابن عوف كثيرا ما يبكي ويقول :

" لقد مات رسول الله عليه السلام وما شيع هو وأهل
بيته من خير الشعير .. وما أرانا أنخرنا لما هو خير لنا" ..

وكان يخشى دائما أن يكون ممن يُقال لهم يوم القيامة :

بسم الله الرحمن الرحيم

{أَذَقْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ

تَجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأحقاف : 20] .

... هكذا لم ينس (عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ) الأثرةَ ساعة
ابتسمتُ له الدنيا ، بل كان دائمَ الذكر ليوم لا ينفعُ فيه إلا
العملُ الصالحُ .. زهدًا عن المنصب وابتعد عنها حتى لا
تغريه الحيلةُ وتنسيه منهجَه في الحياة ..

العطاء .. العطاء .. ولأجلِ الله ورسوله ..

لم يكن الجهادُ بالمالِ هو كل جهادِ عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ
بل كان جهادُه بالقتل في سبيلِ الله مشهودًا .

في غزوةٍ أُصيب ابنُ عوفٍ بعشرين إصابةً تركت
إحداها في ساقه عرجًا دائمًا .. كما سقطتُ إحدى ثناياه
(أسنانه الأمامية) فترك عيبًا في نطقه ..

وأحسبها أوسمةً تلك التي حملها ابنُ عوفٍ في ساقه وفي
أسنانه ظلت تُشهد العالمَ على عطاءِ هذا الرجلِ
وشجاعته ..

عاش ابنُ عوفٍ حياته قريبًا من النبي عليه السلام فلما

قُبضَ .. عائش إلى جوار أبي بكر ثم عمر بن الخطاب
واحداً من مستشاريهما وأصحاب الرأي معهما .

وقيل أن ينتقل ابن الخطاب إلى جوار ربه أوصى أن
تكون الخلافة من بعده بين ستة من خيرة صحابة رسول الله
عليه السلام وكان (ابن عوف) واحداً منهم .

وانتهت الأنظار أول ما انتهت إليه .. إلا أنه قل ..
"والله ، لأن تُؤخذ مدية"^(١) ، فتوضع في حلقى ، ثم ينفذ بها
إلى الجانب الآخر أحبُّ إلى من ذلك" .

هكذا رفض (عبد الرحمن بن عوف) أن يتولى إمارة
المؤمنين بعد (عمر بن الخطاب) واعتبرها مسألة قاسية
عليه .. مستبعدة كل الاستبعاد عن تفكيره .. فهو زاهد في
المناصب راغب عن الخلافة .

فلما سمع الإمام (عليه) (كرم الله وجهه) منه هذا الرفض

(١) المديّة : الحبل الصغير أو الخيط .

قال له : " لقد سمعتُ رسول الله عليه السلامُ يصفُكَ بأنك
أمينٌ في أهلِ السماءِ ، وأمينٌ في أهلِ الأرضِ " ..
وأصر (ابنُ عوفٍ) على رأيه فأوكل الخمسة الآخرين له
مهمة اختيار الخليفة .

واختار (ابنُ عوفٍ) من بينهم (عثمانَ بنَ عفانٍ) ليكون
خليفةً على المسلمين .. ووافق الجميعُ على رأيه .

في العام الثاني والثلاثين للهجرة .. جلد (عبد الرحمن
بن عوف) بأنفاسه الأخيرة .. صعدتْ رُوحه إلى بارئها وهو
راضٍ عما قدّم للحياة من جهادٍ بالنفسِ والمالِ ..

